Journal of Agricultural, Environmental and Veterinary Sciences (JAEVS) • Vol 8, Issue 4 (2024) • P: 47 - 36
https://journals.ajsrp.com/index.php/jaevs
ISSN: 2522-3364 (Online) • ISSN: 2522-3364 (Print)

The Forest Heritage of Rosemary in the Taourirt Region - Eastern Morocco - Between Smuggling and Uprooting

Dr. Mohammed Lakhdari[1], Dr. Jaouad El-Bazoui*[2], Dr. Mohamed Aziach[1], Dr. Abdelouahed Bouberria[2]

[1] Faculty of Letters & Human Sciences \ Oujda | Mohammed First University | Morocco

[2] Multidisciplinary Faculty \ Taza | Sidi Mohamed Bno Abdilah University | Morocco

Received: 08/10/2024

Revised: 20/10/2024

Accepted: 28/10/2024

Published: 30/12/2024

* Corresponding author: bazwijawad@gmail.com

Citation: Lakhdari, M., El-Bazoui, J., Aziach, M., & Bouberria, A. (2024). The Forest Heritage of Rosemary in the Taourirt Region - Eastern Morocco - Between Smuggling and Uprooting. *Journal of agricultural, environmental and veterinary sciences, 8*(4), 36 – 47. https://doi.org/10.26389/AJSRP.W111024

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: The rural areas within the Taourirt Province, in Eastern Morocco, are rich in diverse natural resources (rosemary, alfa grass, pottery industry, charcoal, etc.), which have fostered a social knowledge adapted to the natural environment, creating a relationship of mutual influence. Rosemary is part of Morocco's strategy for the development of medicinal and aromatic plants. In the Taourirt Province, this plant covers an area of approximately 150,000 hectares, with an estimated production in the study area of more than 44,500 tons. However, the field study of the management of this vital resource – the forest heritage of rosemary – in the mountainous areas within the study region remains below expectations, limiting its sustainability and reducing the benefits derived from it. This situation highlights the need to strengthen governance in its exploitation and establish industrial units for local value enhancement, benefiting from its cancer-fighting and antioxidant properties, in addition to seeking ways to market the product domestically and internationally.

Keywords: natural resources, forest heritage, rosemary, territorial development, Taourirt Province, Eastern Morocco.

الموروث الغابوي (البري) لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت - شرق المغرب - بين التهريب والاجتثاث

الدكتور/ محمد لاخضري[1],الدكتور/ جواد البزوي*[2], الدكتور/ محمد ازياش[1], الدكتور/ عبد الواحد بوبرية[2]

[1] كلية الآداب والعلوم الإنسانية / وجدة | جامعة محمد الأول | المغرب

[2] الكلية متعددة التخصصات / تازة | جامعة سيدي محمد بن عبد الله | المغرب

المستخلص: تزخر المجالات الريفية داخل إقليم تاوريرت -شرق المغرب- بموارد طبيعية متنوعة (إكليل الجبل، الحلفاء، الصناعة الفخارية، الفحم الخشبي...الخ)، أنتجت دراية اجتماعية تكيفت مع الوسط الطبيعي في علاقة تأثير وتأثر. تدخل نبتة إكليل الجبل ضمن استراتيجية المغرب في مجال تطوير استغلال النباتات الطبية والعطرية، إذ تصل المساحة التي تغطيها هذه النبتة على مستوى إقليم تاوريرت ما يناهز 150 ألف هكتارا، ويقدر الإنتاج المتوقع بمجال الدراسة على ما يزيد عن 44500 طنا. إلا أن الدراسة الميدانية لتدبير هذا المورد الحيوي – الموروث الغابوي لإكليل الجبل - بالمجالات الجبلية داخل مجال الدراسة يبقى دون مستوى الرهانات، مما يحد من استدامته ويؤثر على الاستفادة من عائداته. هذا الواقع يحتم ضرورة تقوية حكامة الاستغلال وإنشاء وحدات صناعية لتثمين المنتوج محليا والاستفادة من مستخرجات مضادات السرطان والأكسدة التي يحتويها، إضافة إلى البحث عن سبل تسويقه في الداخل والخارج.

الكلمات المفتاحية: الموارد الطبيعية، الموروث الغابوي، إكليل الجبل، التنمية الترابية، إقليم تاوريرت، المغرب الشرقي.

مقدمة

أصبح الحديث عن تنوع الموارد الطبيعية التي تميز المجال المغربي بين جميع المتدخلين المؤسساتيين والسياسيين والمهنيين والمجتمع المدني، وينبع هذا الاهتمام من دورها في إنتاج الثروة وفي تشكيل دراية اجتماعية تكيفت مع الوسط الطبيعي في علاقة تأثير وتأثر. إلا أن بعض المؤثرات الخارجية المرتبطة بالعولمة والثورة التكنولوجية وتعاقب فترات الجفاف أدت إلى الإخلال بالتوازن البيئي وتدهور الأوساط الغابوية لموروثة.

وعلى غرار المنتوجات الترابية المتنوعة التي يزخر بها المغرب، أصبحت نبتة إكليل الجبل من الموارد التي حظيت باهتمام مهم ضمن استراتيجية المغرب في تثمين وتسويق النباتات الطبية والعطرية، إذ تصل المساحة التي تغطيها هذه النبتة على مستوى إقليم تاوريرت ما يناهز 150 ألف هكتارا، تنتشر بجبال الهورست وكعدة دبدو، ويقدر الإنتاج المتوقع بمجال الدراسة على ما يزيد عن 44500 طنا، وقد حددت مصالح المياه والغابات ومحاربة التصحر الإنتاج السنوي في 14970 طنا سنويا (المديرية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بتاوريرت، 2021). إن الدراسة الميدانية لآثار السياسة الاستغلالية للثروة الغابوية، لإكليل الجبل يشير إلى مدى أهمية هذه النبتة في خلق هوية اقتصادية محلية للمجالات الريفية، وذلك من خلال مساهمتها في التخفيف من الهشاشة التي تشكو منها الساكنة المحلية.

يقع مجال الدراسة بالشمال الشرقي للمغرب بين خطي طول '2°17 و'3°15 غرب خط غرينتش، وبين دائرتي عرض '33°28 و'34°50 شمال خط الاستواء، ويتموضع في جزء كبير منه على ما يصطلح عليه بممر تاوريرت-وجدة، وعلى كعدة دبدو وأجزاء من شمال غرب الهضاب العليا (الخريطة رقم 1)، إذ يحده شمالا سلسلة جبال بني يزناسن (بني محيو)، ومن الجنوب الشرقي تحده جبال الزكارة ومن الجنوب الغربي تحده الهضاب العليا، وينفتح في اتجاه الشرق على سهل لبصارة وأنجاد، وفي اتجاه الغرب على سهل جرسيف (تافرطة) وواد ملوية.

الخريطة 1: الموقع الجغرافي لإقليم تاوريرت في بعده الجهوي والوطني

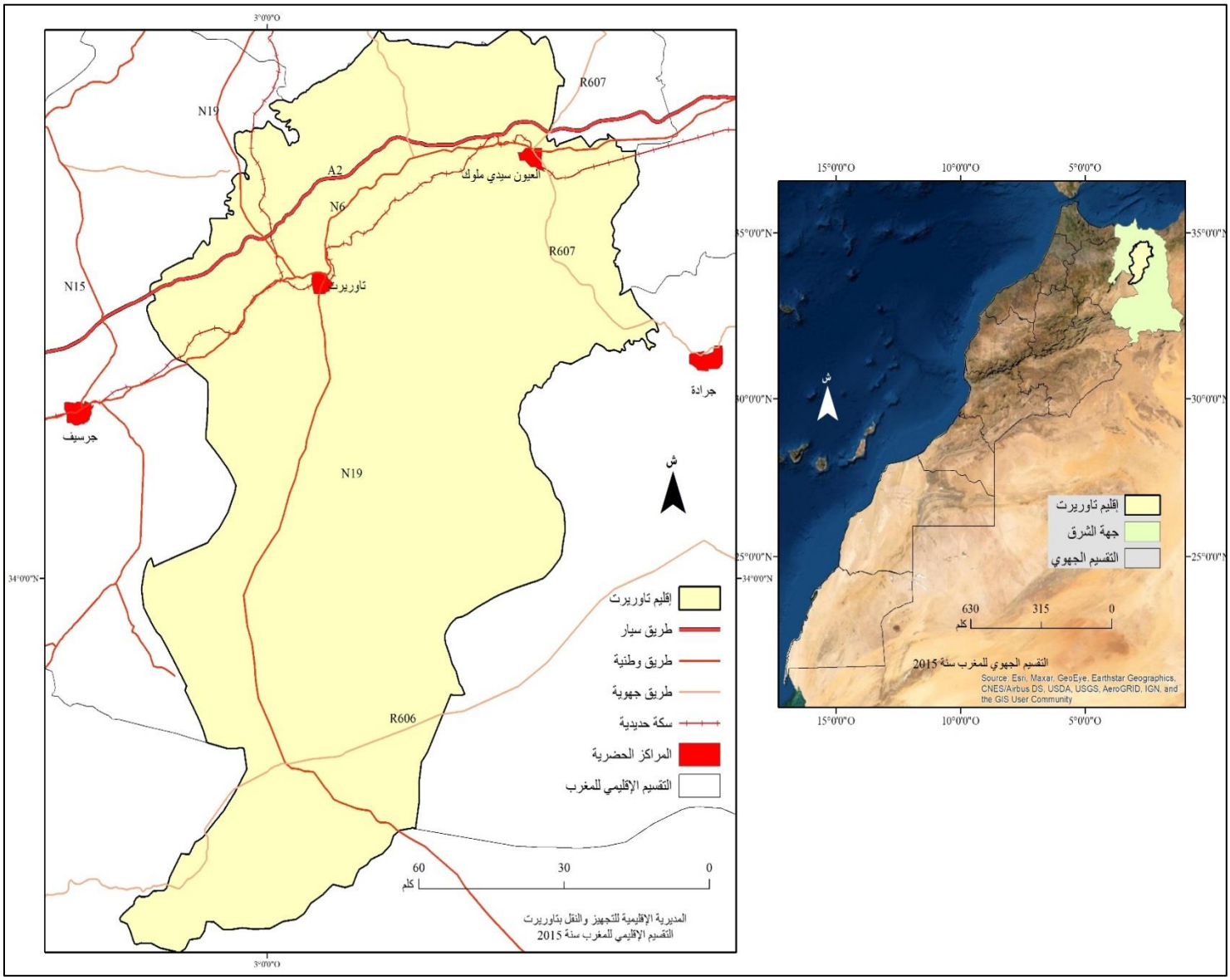

إشكالية المقال والدراسات السابقة والمنهجية المعتمدة

تظهر أهمية دراسة وتحليل استغلال الموروث الغابوي لإكليل الجبل من خلال توصيات وحدود الدراسات السابقة التي اهتمت بهذه النبتة وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، مثل: دراسة (Naggar Mustapha و Khalid Iharchine سنة 2015) التي بينت أهمية نبتة إكليل الجبل في ممارسة الأنشطة الدرة للدخل وأوصت بضرورة اعتماد تدابير متنوعة لتحسين أساليب استثمارها، ودراسة (Driss Alami و Soukaina Bouslihim سنة 2021) التي هدفت إلى تشخيص وتحليل استغلال شجرة إكليل الجبل وتحديد نقط القوة والضعف والتهديدات والفرص (SWOT) التي تواجه القطاع التعاوني المهتمة بتثمين منتوج إكليل الجبل. وعلى غرار الدراسات التي اهتمت بإكليل الجبل في المغرب تتعدد البحوث التي ركزت على طرق استغلال هذه النبتة وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية بحوض البحر الأبيض المتوسط، ومنها دراسة (Abdallah Hedi سنة 2022) حول تثمين نبتة إكليل الجبل وطرق الاستخدام بتونس (Trouée de bel-Lassoued) وأظهرت الدراسة الآثار الاقتصادية والاجتماعية لهذه النبتة رغم الإكراهات البيئية والتدبيرية التي تواجهها.

وبناء على ما سبق، جاءت هذه الدراسة التي تهدف إلى تشخيص أساليب الاستغلال العشوائي لنبتة إكليل الجبل بإقليم تاوريرت الذي يعد من أبرز أقاليم جهة الشرق (المغرب) الذي تنتشر داخله هذا الموروث الغابوي، مع رصد تأثير نمط الاستغلال الحالي على استدامة هذا الموروث. ومن هنا تبرز القيمة المضافة للمقال على مستوى تحليل دور الفاعل المؤسساتي السياسي والتعاونيات في تشجيع اجتثاث وتهريب نبتة إكليل الجبل.

إن الإشكالية المركزية لهذه المقالة تتمحور حول آثار التدبير الحالي لنبتة إكليل الجبل على الدينامية المجالية بإقليم تاوريرت. وإن معالجة هذا الاشكالية ينطلق من الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي الإمكانيات التي يتمتع بها إقليم تاوريرت على مستوى الثروة الغابوية لإكليل الجبل؟
- ما هي الاكراهات التي تحد من استدامة نبتة إكليل الجبل وتؤثر على الاستفادة من عائداتها؟
- ما مدى أهمية إحداث قطب للتثمين بالمراكز القروية الصاعدة في استدامة نبتة إكليل الجبل بإقليم تاوريرت؟

ارتباطا بالأسئلة السالفة الذكر، تم الاعتماد على منهجية مبنية على مجموعة من الخطوات لمعالجتها، بدءا بالبحث والقراءة البيبلوغرافية التي تهم الإشكالية المدروسة سواء تلك التي أنجزت حول جهة الشرق خاصة والمغرب عامة. وتأسست الخطوة الثانية على زيارة المؤسسات المهتمة بالتنمية الترابية على المستوى الجهوي للحصول على مختلف التقارير والبرامج للوقوف على التدخلات التي قامت بها الدولة والمبرمجة مستقبلا وخاصة المندوبية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بتاوريرت. أما الخطوة الثالثة فقامت على الاستغلال نتائج العمل الميداني (استمارة ميدانية ومقابلات) الذي أنجز في إطار إعداد أطروحة جامعية، حيث أجريت مقابلات مع فاعلين مؤسساتيين ومنتخبين وجمعويين ومهنيين للوقوف على أهمية الموروث الغابوي لإكليل الجبل والاكراهات التي تحد من استدامته، هذا إلى جانب ملء استمارة بعينة عشوائية بسيطة شملت أرباب الأسر بنسبة 2,5%؛ أي ما يمثل 65 استمارة من مجموع 2560 أسرة المتركزة بالمجال الغابوي حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

1. ثروة إكليل الجبل بالمجالات الجبلية لإقليم تاوريرت: إمكانات مهمة وتعدد المتدخلين

تدخل نبتة إكليل الجبل ضمن استراتيجية المغرب في مجال تطوير استغلال النباتات الطبية والعطرية، إذ تصل المساحة التي تغطيها هذه النبتة على المستوى الوطني إلى حوالي 800 ألف هكتارا، منها 450 ألف هكتار ا بجهة الشرق، وينتشر بكل من إقليم فجيج (أيت سرغوشن وتالسينت) على مساحة 250 ألف هكتارا وبإقليم جرادة (بني يعلا وكفايت ولبخاتة) على مساحة 150 ألف هكتارا، وتمتد بإقليم تاوريرت على مساحة 150 ألف هكتارا وبعض المساحات الصغيرة بأقاليم الدريوش وجرسيف وبركان (Naggar M., Iharchine Kh. 2015,).

1.1 الثروة الغابوية لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت

تعتبر منطقة الدراسة خزانا مهما لهذه النبتة، حيث تقدر المساحة المغطاة بهذه النبتة ما يقارب 150 ألف هكتارا، ما يجعله يحتل المرتبة الثانية جهويا ووطنيا بعد إقليم فجيج.

الجدول 1: الثروة الغابوية لإكليل الجبل بالمجال المدروس سنة 2021

المجال الغابوي	الجماعة الترابية	المساحة المغطاة		الإنتاج السنوي بالطن	الإنتاج المتوقع بالطن
		الهكتار	النسبة المئوية		
عياط	تنشرفي	27144	18,71	3160	9500
مركشوم	أهل واد زا	25990	17,91	2720	8200
دبدو	العاطف/ أولاد امحمد	7653	5,27	780	2300
دبدو	سيدي علي بلقاسم	35553	24,50	3550	10700
دبدو	سيدي لحسن	51749	35,67	4760	13800
لمقام	سيدي لحسن				
المجموع		145062	100	14970	14970

المصدر: المديرية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بتاوريرت، 2021

يشير الجدول رقم 1 أعلاه، إلى كون إقليم تاوريرت يحتوي على موروث غابوي لإكليل الجبل، ينتشر على الخصوص بجبال الهورست وكعدة دبدو، ممتدا على خمس جماعات ترابية؛ تستحوذ جماعة سيدي لحسن على 36% من مجموع المساحة المغطاة بهذه النبتة، وتأتي في المرتبة الثانية جماعة سيدي علي بلقاسم بنسبة 24,5%.

الخريطة 2: انتشار الموروث الغابوي لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت

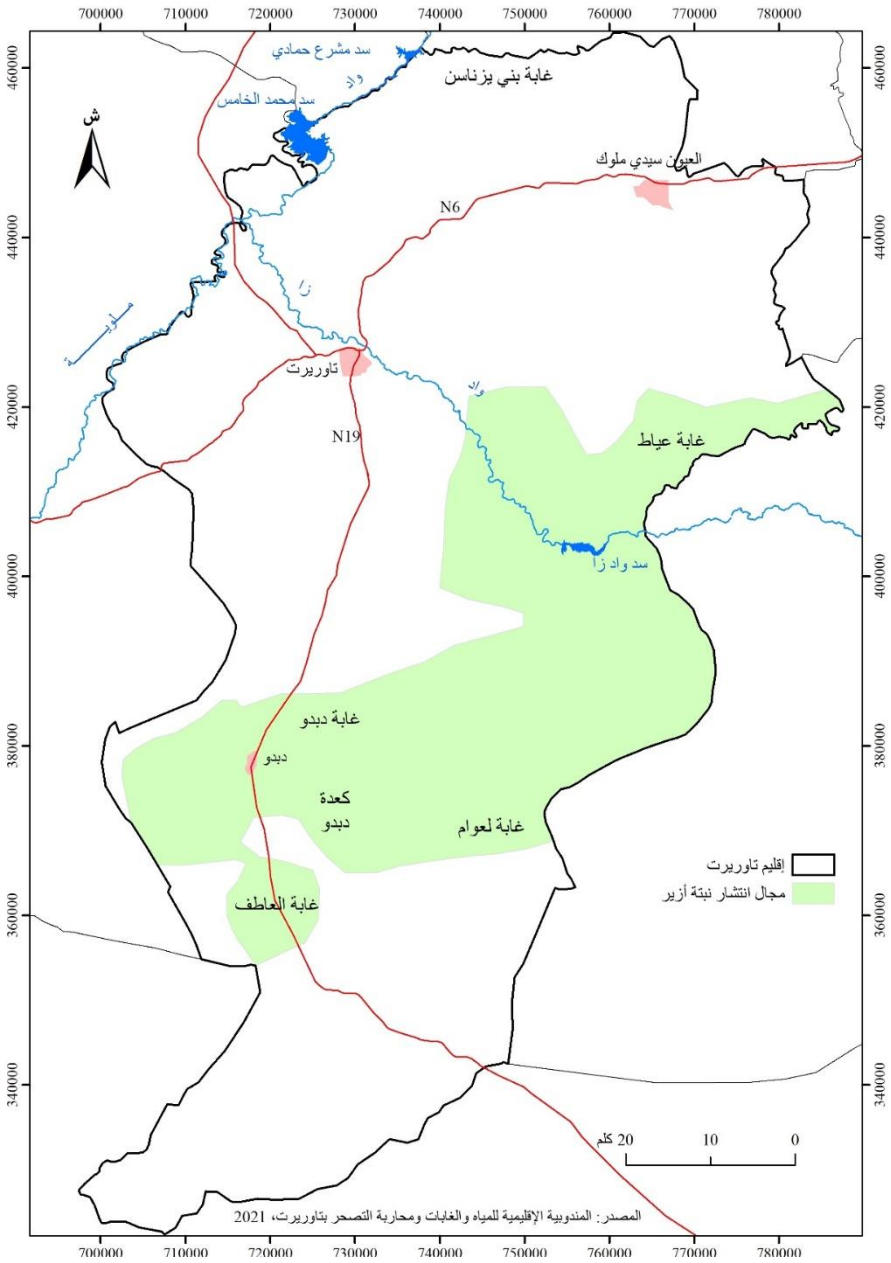

يقدر الإنتاج المتوقع بإقليم تاوريرت بـ 44500 طنا، أما الإنتاج السنوي الذي تحدده مصالح المياه والغابات ومحاربة التصحر فيصل إلى 14970 طنا سنويا.

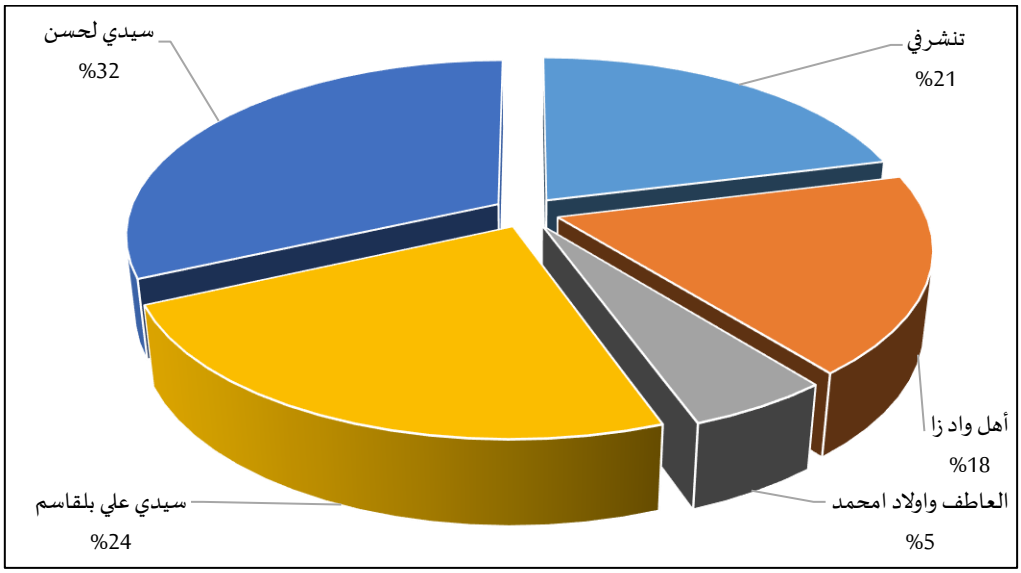

المصدر: المديرية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بتاوريرت، 2021.

الشكل 1: توزيع الإنتاج السنوي لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت

يتضح من خلال الشكل رقم 1، أن توزيع الإنتاج السنوي من نبتة إكليل الجبل يتفاوت من جماعة إلى أخرى، حيث تحتل جماعة سيدي لحسن المرتبة الأولى بمساهمة تقدر ب 32% متبوعة بجماعة سيدي علي بلقاسم ب 24% ثم جماعة تنشرفي ب 21%، ومن خلال ذلك تتباين تأثيراته الاقتصادية بين كل مكونات عملية الاستغلال.

2.1. توزيع عائدات الثروة الغابوية لإكليل الجبل بين مختلف المتدخلين داخل إقليم تاوريرت

بالنظر إلى الإمكانيات المهمة التي يتمتع بها إقليم تاوريرت من حيث المساحة الغابوية لإكليل الجبل والتي تقارب 150 ألف هكتار، فإن عائدته تلعب دورا مهما في الدينامية الاقتصادية والاجتماعية بالإقليم رغم ما تعرفه من اختلالات في توزيعها (Naggar M., Iharchine Kh. 2015).

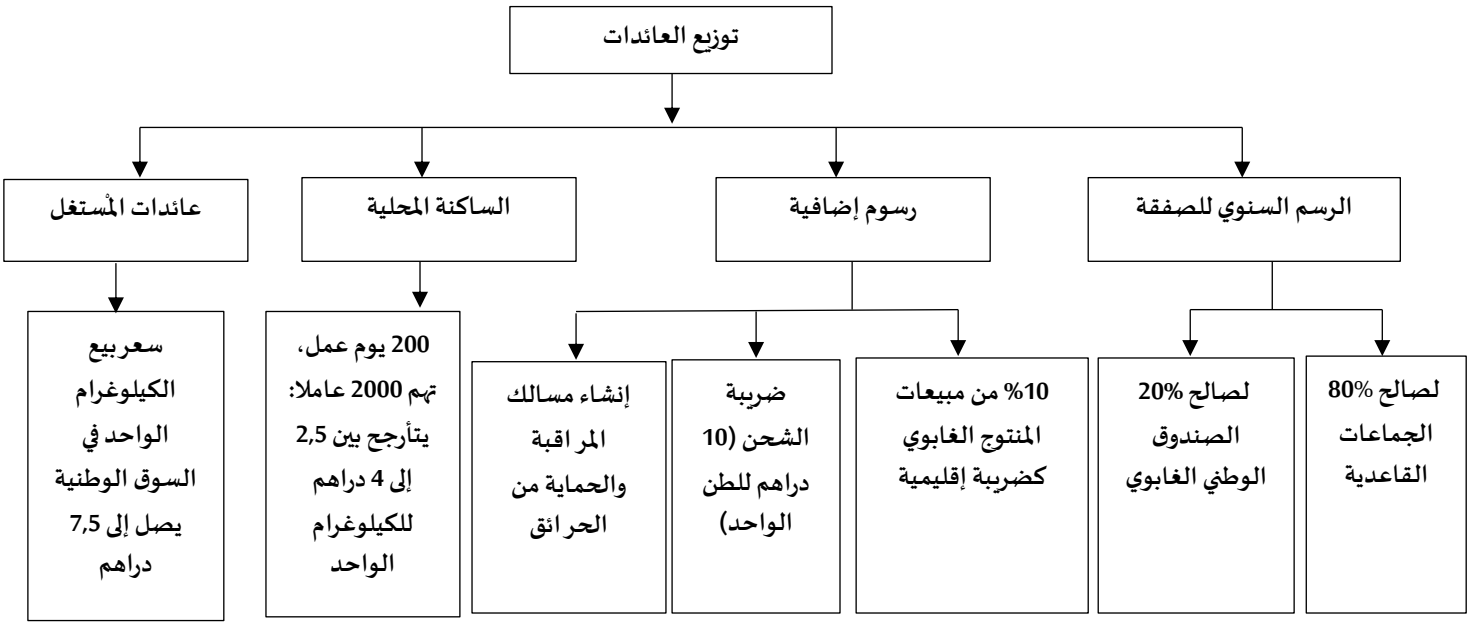

المصدر: مقابلات ميدانية سنة 2021 (رؤساء تعاونيات، المحاسب مختار فردي، ساكنة محلية)

الشكل 2: سلسلة توزيع عائدات إكليل الجبل على المتدخلين بالمجال المدروس

يخضع استغلال نبتة إكليل الجبل لمساطر قانونية، إما عبر السمسرة العمومية أو عن طريق التفاوض المباشر مع المديرية الإقليمية أو الجهوية للمياه والغابات ومحاربة التصحر. وتصل مدة الاستغلال إلى ثلاث سنوات قابلة للتجديد ثلاث مرات، ويتم داخل مجال الدراسة تفويت الاستغلال إما للشركات (نموذج بجماعة سيدي علي بلقاسم) أو للتعاونيات (نموذج بجماعتي سيدي لحسن وتنشرفي)،

ويحدد التعاقد قيمة الصفقة ومجالها الذي يقسم إلى ثلاث نطاقات، كل سنة يستغل نطاق من أجل ضمان استدامة تجدد الموروث الغابوي لنبتة إكليل الجبل.

وتفرض مجموعة من الرسوم على الفائز بالصفقة (المدخلات) والتي تقسم إلى رسم سنوي متفق حوله ويتغير حسب الكمية، بالإضافة إلى بعض الرسوم الإضافية (ضريبة مبيعات الغابة للمجلس الإقليمي، ضريبة الشحن والمحددة في 10 درهم للطن الواحد، بالإضافة إلى تكاليف إنشاء المسالك والمراقبة والحماية من الحرائق)، هذا إلى جانب تكاليف الساكنة التي تقوم بعملية تجميع محصول هذه النبتة. أما العائدات الربحية فتختلف حسب ثمنه في السوق الوطنية على اعتبار أن التعاونيات المستغلة تبيعه خاما ولا يتم تحويله، وكذلك حسب الثمن الذي يدفع للساكنة المجمعة للنبتة والذي يتغير حسب مطالب العمال (المقابلات الميدانية مع رؤساء التعاونيات سنة 2021).

الجدول 2: أرقام المعاملات بين كل المتدخلين في سلسلة الاستغلال (1000 طن): نموذج جماعة تنشرفي

السنوات	العائدات بالدرهم			
	الساكنة	الدولة	الشركة	التعاونية
2014	2 مليون	672745,60	4,09 مليون	لم تحصل على الرخصة
2016	4 مليون	672745,60	انتهاء الرخصة	588740
2021	4,2 مليون	1,195 مليون	انتهاء الرخصة	-633808

المصدر: مختار فردي، محاسب بإقليم تاوريرت وجهة الشرق، 2021.

تتباين حسب الجدول رقم 2 أعلاه، عائدات المتدخلين من سنة لأخرى ومن متدخل لآخر، والملاحظ أن عائدات الساكنة والرسوم المفروضة على المستغل تضاعفت في الفترة ما بين 2014 إلى 2021، في حين شهدت عائدات التعاونية (تعاونية نماء للنباتات العطرية والطبية) تراجعا متأثرة بتراجع الأسعار نتيجة تفشي وباء كورونا وتضاعف الضرائب وكذلك تراجعت عائدات الساكنة بسبب الصراعات ذات الصبغة الشخصية والعائلية والسياسية بين أعضاء الجماعة الترابية لسيدي لحسن وأعضاء التعاونية. وفي هذا الإطار ومن أجل محاكاة العائدات المالية لنبتة إكليل الجبل على إقليم تاوريرت والذي نفترض أن الكيلوغرام الخام في السوق الوطنية يتأرجح ثمنه بين 5,5 و7,5 دراهم، وعلى اعتبار أن الإنتاج السنوي يصل إلى 10 ألف طنا (المندوبية الإقليمية للمياه والغابات بتاوريرت 2021)، كما حددته المندوبية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، نجد:

7,5 دراهم ← 10 ألف طن

المجموع: 75 مليون درهما

5,5 دراهم ← 10 ألف طن

المجموع: 55 مليون درهما

وعليه فإن مجموع عائدات نبتة إكليل الجبل سنويا بإقليم تاوريرت تتراوح بين 55 و75 مليون درهما، وهو عائد مهم في التنمية الاقتصادية بالنظر إلى استفادة الساكنة من التجميع والجماعات القاعدية من الرسوم المفروضة على المستغل (80%) والتي تعود بالنفع على التنمية الترابية. هذا دون حساب قيمة الكميات المهربة في السوق السوداء، أو التي يتم استغلالها داخل الإقليم من قبل الساكنة أو التي يتم استعمالها لأغراض التجميل والتطبيب والطهي والرعي وإنتاج العسل (Naggar M., Iharchine Kh. 2015).

2. استدامة نبتة إكليل الجبل بين التهريب والاجتثاث والتثمين

امتد استغلال نبتة إكليل الجبل لقرون طويلة من قبل الساكنة حسب حاجياتهم الشفائية والمعيشية، ولكن القيمة المرتفعة والاهتمام المتزايد بالنباتات العطرية والطبية أدخل هذ النبتة في العديد من المشاكل التي تحد من استدامتها وتؤثر على الاستفادة من عائداتها.

1.2 اكراهات استدامة الثروة الغابوية لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت

يواجه الموروث الغابوي لإكليل الجبل العديد من التحديات التي تحد من استدامته وتؤثر على تراجع مورد من موارد إنتاج الثروة بالمجالات الجبلية لإقليم تاوريرت.

التهريب ومسالك التسويق: تنشط بشكل كبير عملية تهريب النبتة في فترات النزاع بين التعاونية (ذوي الحقوق) والمديرية الإقليمية للمياه والغابات ومجلس الجماعات القاعدية، ولا تحترم فترة الراحة البيولوجية ولا المناطق المحددة للاستغلال، ولا تحترم ضوابط

التجميع[1]. وتعود أسباب النزاعات إلى الصراعات السياسية بين الأحزاب وربط المصلحة الشخصية بالمصلحة العامة كما حدث في جماعة سيدي لحسن سنتي 2018 و2019. لقد انتهى هذا الصراع بحل المجلس الجماعي ودخول التعاونية في نزاع قانوني مع المديرية الجهوية للمياه والغابات بفعل مطالبة هذه الأخيرة بزيادة الرسوم المفروضة على التعاونية واحترام فترة الراحة البيولوجية والمنطقة المتفق حول استغلالها كل سنة. كما يمكن أن يرتبط النزاع بشروط تفويت الاستغلال للتعاونية وإقصاء أخرى كما حدث في جماعة تنشرفي، مما يساهم في إهدار زمن التنمية واجتثاث النبتة وصعوبة تجديدها.

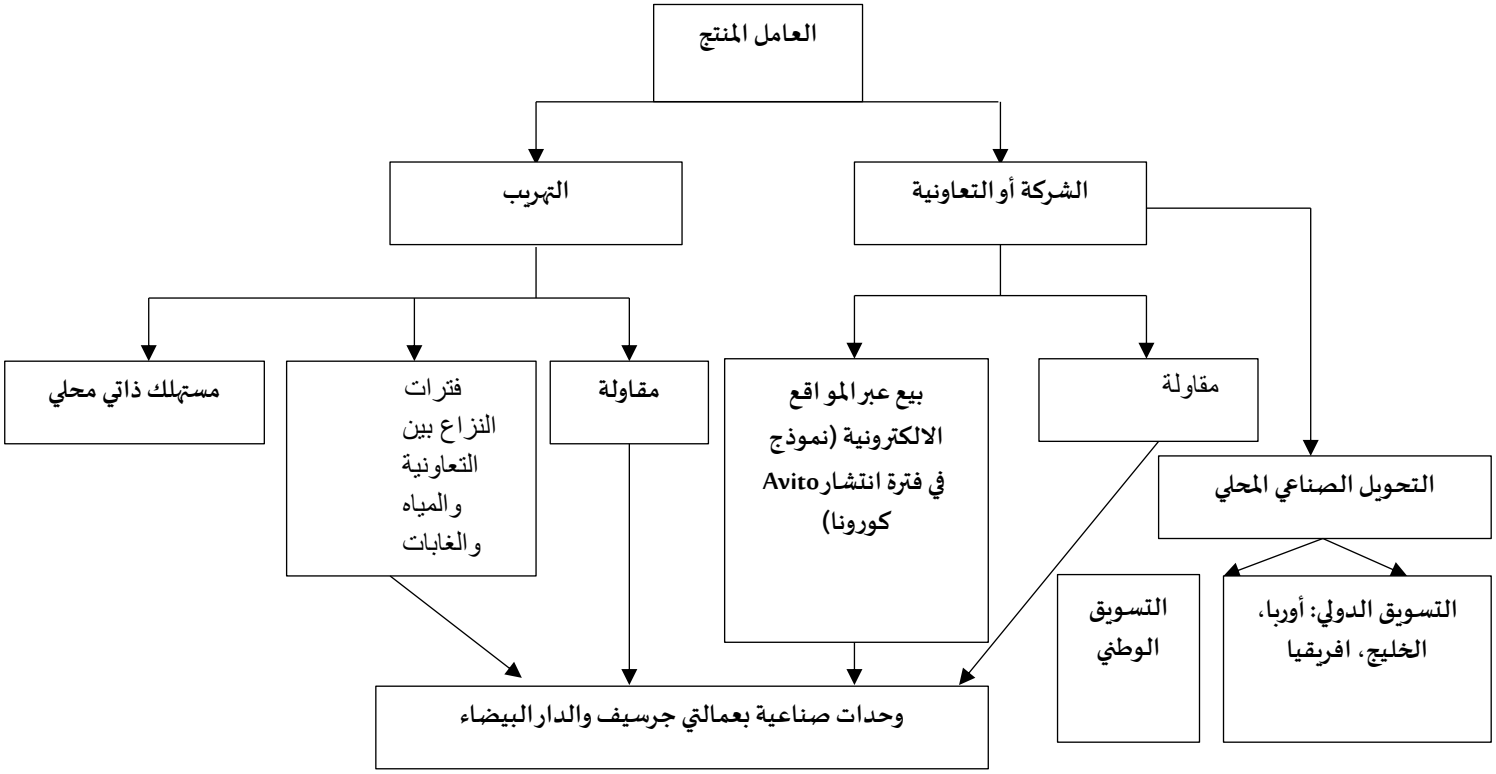

المصدر: تصور الباحث انطلاقا من الاستمارة والمقابلات[2].

الشكل 3: مسالك تسويق منتوج إكليل الجبل بمنطقة الدراسة

تتحدد أهم مسالك تسويق المنتوج في تعاقد التعاونية أو الشركة المجمعة مع الشركات المحولة بكل من جرسيف والدار البيضاء حول كمية محددة يتم إنتاجها سنويا، وظهرت بوادر مسلك التسويق الالكتروني (Avito) مع انتشار وباء كورونا والتي عطلت شبكات الامداد العالمية، وتتأثر هذه المسالك في فترة النزاعات مما يساهم في تنشيط عملية التهريب والتي يصعب مراقبة الجمع وبالتالي الاجتثاث، إلى جانب عدم استفادة الجماعات القاعدية من الرسوم المفروضة على المستغل ومن ثمة ضياع زمن التنمية.

نقص عمليات تثمين المنتوج: باستثناء بعض عمليات التثمين التي تقوم بها بعض التعاونيات بالمجال المدروس (نموذج تعاونية يحيى بيو، تعاونية ندى للزيوت)، فإن المنتوج يتم تسويقه كمادة خام خارج إقليم تاوريرت مما يفوت على مختلف المتدخلين عائدات مالية ضخمة، فمثلا تباع الأوراق المجففة في السوق الوطنية بسعر يتراوح بين 5 إلى 7,5 للكيلوغرام وينخفض إلى أقل عند البيع للوسطاء، في حين يتجاوز ثمن زيت إكليل الجبل 300 درهما للتر الواحد، وقد يصل إلى 2000 درهما، أما مستخرجات مضادات السرطان والأكسدة (البوليفينول وحمض الكرونسيك، وحمض الروماريننيك... (Bouadjemi KH. 2018) فيصل ثمنها إلى 450 ألف درهما للتر الواحد.

(1) - تفرض المندوبية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر مجموعة من الشروط في عملية الاستغلال: احترام المدة الزمنية للراحة البيولوجية لكل قطعة موضوع الاستغلال، القطع بمحش حاد، منع قطع الإكليل الجبل المحاذي للدواوير، القطع على الأقصى نصف النبتة، قطع جميع النباتات بما فيها اليابسة، ضمان المراقبة من التهريب والنهب، احترام مدة الاستغلال من فاتح ماي إلى نهاية نونبر، الحصول على ترخيص عند كل تصريف.

(2) - وجدنا صعوبات كثيرة في البحث عن مسالك تسويق منتوج الإكليل الجبل وخاصة الخاضعة للتهريب، العديد من رؤساء التعاونيات والعمال رفضوا الإفصاح عن مسالك السوق السوداء لأن مرور تلك الشاحنات المحملة بإكليل الجبل خاضع لتواطؤ أجهزة إدارية متعددة ومقاولين في قطاعات أخرى منها الوحدات الصناعية المختصة في الزيتون.

المصدر: عدسة الباحث، يونيو 2021

الصورة 1: نقل منتوج إكليل الجبل المجمع إلى مناطق خارج إقليم تاوريرت

تراجع المساحة الغابوية لإكليل الجبل: من أكثر الصعوبات التي تعترض استدامة نبتة إكليل الجبل هو استغلالها بوسائل تساهم في اجتثاثها؛ منها استعمال المعول في عملية التجميع مما يؤدي إلى اقتلاعها من جذورها عكس ما يتفق حوله في شروط العقد مع المستغل.

المصدر: عدسة الباحث، شتنبر 2021.

الصورتان 2-3: تدهور نبتة إكليل الجبل: غابة لمقام بالجماعة الترابية سيدي لحسن

يعترض استدامة نبتة إكليل الجبل العديد من الصعوبات نتيجة تواتر سنوات الجفاف التي أثرت على تدهور المساحة المغطاة وزيادة الضغط عليها من قبل المستغلين، هذا إلى جانب الاستغلال المفرط الذي تتعرض له من قبل عمال تجميع النبتة والرعي الجائر والحرائق المتكررة.

ضعف الحكامة في تدبير الموروث الغابوي لإكليل الجبل: يعتبر المورد الغابوي لإكليل الجبل من أكثر الموارد الترابية التي توفر للجماعات الترابية مصادر مالية ذاتية تخفف من تبعيتها للضريبة المحولة من قبل الدولة، إلا أن عملية تدبير استغلالها تشوبه خروقات من قبل مختلف المتدخلين:

- تغييب المصلحة العامة: يرتبط استغلال نبتة إكليل الجبل بالصراعات بين أعضاء المجلس الجماعي وأعضاء التعاونية حول الاستفادة من عائداته، حيث يسعى بعض الأعضاء من الاستفادة بطرق غير مباشرة وإن لم ترضخ التعاونية تقع المشاكل وهو ما اتضح جليا بجماعة سيدي لحسن في الفترة 2018 و2019، حيث قرر المجلس الجماعي رفع هامش الرسوم المفروضة على التعاونيات بـ 400% أو عدم تجديد عقد الاستغلال الذي يجدد كل ثلاث سنوات لثلاث مرات؛ أي تسع سنوات، وهو ما أدخل التعاونية في صراع مع المجلس أدى إلى تضرر كلاهما ومعه المواطن، وتغذى هذا المشكل بالصراع الحزبي الذي تطور إلى عائلي، مما أدى إلى تدخل المندوبية السامية

وفرضت زيادة على التعاونيات بـ 100%. وتعتبر هذه الصراعات من الأسباب المدمرة لثروة إكليل الجبل والتي تجعل فئة دون غيرها تستفيد وتدافع الجهات المستفيدة منه على امتيازاتها وتتخوف من بيع المنتوج في المزاد العلني (العمل الميداني 2019-2021).

- صعوبة تمويل السقف المفروض في السمسرة العمومية من قبل التعاونيات: إن سعي الجماعات القاعدية عن بيع المنتوج في المزاد العلني لتكريس مبدأ الشفافية، يصطدم بعدم قدرة التعاونيات على تأدية السقف الذي تفرضه المندوبية الجهوية للمياه والغابات للفوز بعملية الاستغلال، يتبين ذلك بشكل واضح على مستوى جماعة تنشرفي الذي فرض على التعاونيات خلال سنة 2020 في السمسرة العمومية مبلغ 320000 درهما، لم تستطع أي تعاونية توفير هذا المبلغ، وهو ما لم يتم تفويت عملية الاستغلال لأي تعاونية مما يساهم في ضياع مبالغ ذاتية مهمة للجماعات تساعدها على مواجهة الهشاشة، وبالمقابل لا تتوقف عملية حش الإكليل الجبل وبيعه في السوق السوداء كما أكد على ذلك مجموعة من رؤساء التعاونيات (العمل الميداني 2019-2021).
- خروقات الاستغلال ونتائجه: يمر تفويت استغلال إكليل الجبل بمراحل متعددة، في البداية يتم إرسال طلب الاستفادة من مشروع إكليل الجبل من قبل التعاونية أو المقاولة إلى المديرية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، ثم تتبعها دراسة الطلب من قبل المديرية، وبعدها ترسل الملفات إلى المديرية الجهوية[3] لمراسلة العامل، ومن ثمة يراسل العامل الجماعة الترابية المعنية لإدراج النقطة ضمن جدول الأعمال الذي بموجبها يقرر المجلس الجماعي من له الحق في الاستفادة من المشروع. وهذه السيرورة يتولد عنها مشاكل مرتبطة أساسا بالطعون وما يواكبها من فسخ العقد، ولكن الاستغلال لا يتوقف. ندرج مثال الجماعتين الترابيتين سيدي لحسن وتنشرفي، إذ أن المجلس الجماعي لتنشرفي قرر تفويت الاستغلال لتعاونية الإصلاح لكن تم الطعن فيه من قبل التعاونيات وتبعه فسخ العقد وأعلن المدير الجهوي أنه سيباع بالسمسرة العمومية، وحسب ما صرح به أحد رؤساء التعاونيات الذين تقدموا بالطعن فإن التهريب لم يتوقف والاستغلال تم بدون عقدة بمناطق جبل بوخوالي وتيزي نتغمت وجبل دادة علي وعلى جنبات الطريق المؤدية إلى دراوش بجماعة تنشرفي خلال سنتي 2020 و2021، ونفس الشيء بالنسبة لسيدي لحسن الذي استغل إكليل الجبل بدون عقد سنتي 2018 و2019. وهذه الفوضى تساهم في تفويت موارد مالية على الجماعات القاعدية وضياع زمن التنمية. بل تؤثر هذه الفوضى على هيكلة المجالس واستمراريتها، وقد تصل إلى حل المجلس كما حدث في الجماعة الترابية سيدي لحسن سنة 2018، حيث تسبب رفض المجلس تفويت الاستغلال لتعاونية نماء للنباتات الطبية والعطرية -الذي يعتبر أحد منخرطيها النائب الأول للرئيس، مما أدخل أغلبية المجلس في "بلوكاج " تطور إلى حل المجلس وعزل الرئيس.
- تدبير التعاونيات: تشوب العمل التعاوني المهتم باستغلال نبتة إكليل الجبل خروقات متنوعة، تتمثل في شروط الاكتتاب التي تفرضها بعض التعاونيات المستغلة لإكليل الجبل وتتجاوز قدرة السكان الذين يعيشون بالمناطق التي تزخر بهذه الثروة، فمثلا بتعاونية النماء للنباتات العطرية والطبية وضع شرط 100000 درهما (محضر تأسيس تعاونية نماء)، وهذا ما يجعل المكتتبين من خارج الجماعة القروية. أضف إلى ذلك تحكم عائلات في التعاونية ومن ثمة في استغلال موروث إكليل الجبل (5 أفراد من نفس المنزل نموذج تعاونية الكرامة)، كما أن مجموعة من التعاونيات تتلاعب في رقم معاملاتها عبر بيع المنتوج في السوق السوداء والحصص المالية يتم توزيعها على أفراد التعاونية بطريقة مباشرة دون أن تمر إلى رقم الحساب البنكي أو المحاسب. هذا إلى جانب تجاوز الكمية المتفق حولها في كناش التحملات مما يؤدي إلى استنزاف الخيرات، بما فيها المحميات التي تعرضت للاستنزاف، نموذج محمية منطقة عياط. أضف إلى ذلك المخلفات الناتجة عن استغلال إكليل الجبل (الحطب) يشكل خطرا على الغابة من خلال تعرضه بسهولة للحرائق رغم أنه يتفق في العقد جمع الحطب وإخراجه من الغابة.
- صعوبات العمال في جمع المنتوج: تتعدد الصعوبات التي يواجهها العمال في عملية جمع نبتة إكليل الجبل، حيث إن الشروط التي تفرض عليه في عمليات البيع تصعب عليه جمع قنطار واحد في اليوم لما يتطلبه ذلك من جهد في الحش والتجفيف تحت الشمس (من 3 إلى 4 أيام) ثم نقله. كما أنه لا يتم تأمين العمال من حوادث الشغل المتكررة جراء الحش والماء.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلا أن الوضع الراهن لتدبير هذا المورد الحيوي بالمجالات الجبلية بإقليم تاوريرت يبقى دون مستوى الرهانات والتطلعات المرجوة من هذه الثروة، مما يحتم ضرورة تقوية حكامة الاستغلال وإنشاء وحدات صناعية لتثمين المنتوج محليا.

(3) - تواجدت سنة 2020 بجماعة تنشرفي 5 (الإصلاح، تيمواسين، دادة علي، بني يعلى، جبال تنشرفي) تعاونيات لإستغلال نبتة إكليل الجبل إلى أن أربع تعاونيات تم إلغاء مشاريعهم من قبل المدير الجهوي بدعوى أن تعاونية الإصلاح تتوفر على معدات وعلى شراكة مع جمعية كندية حسب ما ذكر الرؤساء الأربعة للتعاونيات، مع العلم أن التعاونية التي أرسل طلبها إلى العامل بتاوريرت هي نفسها التي يعتبر أحد منخرطيها من مستشاري المجلس الجماعي. إلا أن التعاونيات الأربع أرسلت شكاية إلى وزير الفلاحة مما أدى إلى فسخ العقدة مع تعاونية الإصلاح وأعلن بعدها المدير الجهوي أنه سيباع في السمسرة العمومية عملية بيع المنتوج إلا أنه لم يتم تفويته.

2.2 قطب تثمين نبتة إكليل الجبل ودعم التنافسية الاقتصادية لإقليم تاوريرت

تعتبر الثروة الغابوية لإكليل الجبل من أهم الموارد الطبيعية المنتشرة داخل إقليم تاوريرت عامة وبالمناطق الجبلية خاصة، حيث يمتد على 20% من المساحة العامة المغطاة بهذه النبتة على المستوى الوطني و35% على المستوى الجهوي. وباستثناء بعض عمليات التحويل المحلية التي تقوم بها بعض التعاونيات، فإنها لا توجد بالإقليم أي وحدة صناعية مختصة بتحويل النبتة إلى منتوجات مصنعة سواء كانت عطرية أو طبية.

ومن أجل تثمين الموروث الغابوي لإكليل الجبل يتطلب إعداد مسار يمر بثلاث خطوات:

حلقة تشذيب الشجيرات وتجفيفها: تبين من خلال العمل الميداني أن استغلال هذه النبتة يتم بشكل عشوائي داخل مجموعة من المناطق وخاصة بالجماعتين الترابيتين تنشرفي وسيدي لحسن اللتان تشكلان تقريبا 55% من المساحة المنتشرة بإقليم تاوريرت، وذلك نتيجة الصراعات السياسية والعائلية بين أعضاء التعاونيات، هذا من جهة من جهة أخرى، احتداد الصراع بين المنتخبين أنفسهم، مما يؤدي بالساكنة إلى القضاء على استدامة هذا المنتوج وعدم إراحته. وبالنظر إلى التهريب الذي تعرفه هذه النبتة يتطلب من المديرية الإقليمية للمياه والغابات تحسيس ومواكبة الساكنة المحلية والمهنيين والمنتخبين بأهمية هذا الموروث الغابوي في إنتاج الثروة المستدامة للساكنة والتعاونيات، ومساهمته في توفير موارد مالية ذاتية للجماعات وما لذلك من تأثير على التنمية بشكل شمولي.

حلقة التجميع: للحفاظ على جودته الطبيعية يفرض على التعاونيات والشركات إبرام عقود مع العمال تتضمن شروط الإنتاج والجودة، عبر سن آليات المراقبة لضمان الالتزام بشروط طرق التشذيب والتجفيف (درجة الحرارة، مدة التجفيف)، إلى جانب توزيع حاويات لتعبئة المنتوج تحترم شروط الجودة.

حلقة التقطير: يتزايد الطلب على نبتة إكليل الجبل في قطاعات الصيدلة ومستحضرات التجميل والصناعة الغذائية، حيث يستفاد منها كمضاد للأكسدة كونه من المضادات الطبيعية لغياب التأثيرات الجانبية على الصحة (Bouadjemi KH. 2018, p34)، إلى جانب مواد التجميل والعطور من خلال تقطير زيت إكليل الجبل ومنتوجات مصنعة (الصابون، شامبوان...الخ). ومن أجل الرفع من قيمة هذه النبتة في تنويع مصادر الدخل لحاملي المشاريع وخاصة من حاملي الشواهد، يشكل إنشاء وحدتين صناعيتين بالمركزين القرويين سيدي لحسن وتنشرفي من المسارات الرئيسية في عملية تنويع مصادر الدخل للساكنة والضرائب للجماعات.

وأمام انتشار الثروة الغابوية لإكليل الجبل ومجموعة من الشجيرات الطبيعية ذات القيمة الغذائية والطبية المرتفعة (الشيح، السدرة...الخ)، يعتبر الاهتمام بإنتاج العسل الحر في هذه المناطق الجبلية من المصادر المساهمة في تنويع مصادر الدخل.

خاتمة

إن دراسة الإمكانيات التي توفرها الثروة الغابوية لإكليل الجبل بإقليم تاوريرت بينت أهميته في المحافظة على التوازن البيئي وفي التنمية الترابية عبر خلق الثروة وتنويع مصادر الدخل للساكنة الجبلية، إلى جانب توفير موارد مالية ذاتية للجماعات الترابية التي ينتشر بمجال نفوذها، وما لذلك من تأثير على تنويع المداخيل الجماعتية الموجهة لإحداث البنيات التحتية والخدمات العمومية وبالتالي تحسن مستوى عيش الساكنة المحلية، ومن ثمة تشجيع السكان على الاستقرار بالوسط الريفي.

وبالنظر إلى الوضع الراهن لتدبير هذا المورد الحيوي في المجالات الجبلية بإقليم تاوريرت الذي يتسم بسيادة التهريب والاجتثاث ونقص منافذ التثمين وضعف حكامة الاستغلال والتسويق، فإن التفكير في استدامة هذا الموروث الغابوي يحتم ضرورة تقوية التدبير المستدام وإنشاء وحدات صناعية لتثمين المنتوج محليا، إضافة إلى إعداد خطة متكاملة للتسويق.

المراجع

- الميلود شاكر (2010)، "المغرب الشمالي الشرقي: دينامية الموارد الطبيعية وخطورة التصحر (نموذج كتلة بوخوالي وهوامشها السهوبية)"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة محمد الخامس أكدال الرباط، رقم 60، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، 375ص.
- محمد لاخضري (2023)، "البناء الجهوي وإشكالية الحكامة الترابية بجهة الشرق: حالة إقليم تاوريرت"، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة، 396 ص.
- حميمي عبد الحفيظ (2017)، "دينامية المراكز الحضرية ودورها في تنظيم المجال الريفي وآفاق التنمية الترابية بممر وجدة-تاوريرت"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة محمد الأول وجدة، 366 ص.
- المديرية الإقليمية للمياه والغابات ومحاربة التصحر تاوريرت (2021) " توصيف حدود المجالات الغابوية"، 119ص.

- Acherkouk M. (2013), « Evaluation de l'impact des aménagements pastoraux sur la restauration des pâturages dégradés du couloir Taourirt-Taforalt (Maroc Oriental) », Thèse de doctorat en sciences de la vie et de l'environnement, faculté des sciences Oujda, 211p.
- Bouadjemi KH. (2018), « Etude comparative des différentes parties de la plante romarin (Rosmarinus officinalis) par rapport aux pouvoirs antibiotiques sur le yaourt », Mémoire pour l'obtention du diplôme de master en Agronomie, Faculté des Sciences de la nature et de la vie, Université Abdelhamid Ibn Badis-Mostganem, 66p.
- Naggar M., Iharchine Kh. (2015), « Pour Une Valorisation Durable Des Produits Forestiers Non Ligneux : Cas Des Facies Romarin De L'oriental (Maroc) », XIVème Congrès Forestier Mondial, Durban, Afrique Du Sud, 8p.
- Karra Ch. (2022), « Approche d'aménagement Forestier durable et promotion de développement régional en Tunisie dans un contexte de changement globaux », Cahiers du FTDES, N. 6, P.P. 32-44. https://ftdes.net/rapports/chaier6karra.pdf
- Hédi A. (2022), « Valorisation des garrigues à romarin et conflits d'usage : cas de la Trouée de Bel-Lassoued (Dorsale centrale, Tunisie) », Bulletin de la Société Géographique de Liège, V. 79, N. 2, P.P 97-119. DOI: 10.25518/0770-7576.6824
- Alami D., Bouslihim S. (2021), « Les cooperatives de romarin : situation actuelle et perspectives de développement », Moroccan Journal of Entrepreneurship, Innovation and Management (MJEIM), V. 6, N. 1, P.P 124-138. https://doi.org/10.48396/IMIST.PRSM/mjeim-v6i1.28042